من كتاب (النجف في ربع قرن)

الثورة النجفية سنة ١٩١٨

أو

قبس الثورة العراقية الكبرى

— ٦ —

بقلم : الاستاذ محمد علي كمال الدين

٥ ـ شروط السلطة المحتلة

نشرت جريدة العرب انه عقد في ٢٢ مارت المصادف ٨ جمادي الآخرة مجلس مختلط من الحكام البريطانيين وبعض المشايخ وبعض العلماء الاعلام فتقرر الشروط الآتية : —

١ — تسليم القتلة ومن اشترك معهم بالفتنة تسليما مطلقا بدون قيد ولا شرط .

٢ — تسليم غرامة حربية هي الف بندقية وغرامة نقدية هي خمسون الف ريبة (٣٥٠٠ دينار تقريباً) على ان يجمعها الشيوخ المخلصون من محلات النجف التي كانت لهم يد في الفتنة .

٣ — تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة الى الحكومة المحتلة لتسفيرهم من النجف بصفتهم اسرى حرب .

كما ان اولئك الحكام الذين عقدوا وقرروا ابلغوا من حضر المجلس بان النجف ستبقى محاصرة حصاراً شديداً الى ان تنفذ هذه الشروط . اهـ .

هذه هي مقررات المجلس المختلط التي اعلنتها جريدة العرب اما نحن النجفيون فلم نسمع عن هذا المجلس اين اجتمع وكيف ومتى اجتمع وانما الذي شاع بين الجماهير امر الحصار . ونظن ان هذا المجلس تشكل في الكوفة فقد كانت البلد بيد الثوار ودار الحكومة شبه محاصرة فلا يمكن ان يجتمع اعضاؤه في النجف . اما بعض المشايخ الذي اشار اليه فلا يتجاوز علوان الحاج سعدون رئيس بني حسن وبعض جماعته المجاورين للكوفة ولكن من هو هذا البعض من العلماء الاعلام ؟؟ ان هذا البعض لا يتجاوز عددهم اصابع اليد كلهم من غير العرب العثمانيين كانوا نكرات لم يكن يعرفهم قبل الاحتلال حتى المجاور الى بيوتهم وقد لقبهم النجفيون حينذاك بعلماء (الافيز) دار الحكومة . من هؤلاء الشيخ محمود اغا الهندي والسيد ابو القاسم الايراني الملقب نفسه بالعلامة والشيخ الايراني حينذاك والسيد هاشم الهندي والشيخ ... والشيخ ... ولم يكن الوسط العلمي في النجف يضعهم في مصاف صغار العلماء فضلا عن المجتهدين . وليس القصد من هذا البيان توهين شأنهم فانهم يعرفون صحة ما نقول وهي الحقيقة

فمن ذلك كله يتبين ان هذا المدعي قد أخطأ في التعميم الذي مبعثه التسرع والجهل .

أما عن القول بفعاليه العقل فعالية مطلقة فهذا أمر لا يمكن لاثباته دليلا وقد استطاع فريق من الفلاسفة انكار الوجود الخارجي واستطاع آخرون اثباته . واستطاعت المدرسة العقلية ان تبرهن على وجود القضايا العقلية البدهية وانكرتها المدرسة التجريبية ببراهين أخرى .. أفلا يعد هذا التناقض الصريح البين طعنا في فعالية العقل المطلقه التي بها يقولون وعليها يعتمدون

واذا اضفنا الى ذلك كله بان المدارس الارتيابية قد شكت حتى في امكان المعرفة باي نوع كان ونصحتنا بالعدول عن اليقين الى الشك كما أخبرتنا الفورونية والاكاديمية الجديده والمدرسة الشكوكية بصورة عامة .

فهل يقال بعد هذا بانه قد ثبت لدى القوم وخصومهم بان للعقل فعالية مطلقة ؟ .

استانبول — صلاح الدين شوقي

التاريخية .

٦ — الخطة الحربية :

لقد باشر الجيش الزاحف في شق خندق يبتدىء من كري الشيخ المار ذكره من نقطة فيه شمالي شرق المدينة لغرض تطويق شمالي المدينة على ان يمتد الخط فيبلغ طرات وادي المسحب وعندئذ ينقطع طريق كربلا وصلتها بالنجف ، وايضاً شق الجيش خندقا آخر يبتدىء من الخط الحديدي متجهاً نحو الجنوب ليقطع طريق ابو صخير على ان يبلغوا به طرات البحر جنوب النجف . وهذان الخطان يكونان ثلثي قوس الدائرة حول النجف فلم يبق الاقوس الغرب وهو وادي البحر وبساتينه المنخفضة عن مستوى المدينة بما يقرب من عشرة امتار وبما ان طرفي هذين الخطين يطلان على الوادي المذكور من جهتين فيكون هذا الوادي وبساتين النجف والجدول الوحيد لسقي النجف تحت رحمة ذينك الخطين العسكريين وقد اضاف الجيش الى ذلك انه جعل التلول والطرات الصخرية المطلة على البحر أوكار المدفعية ورشاشاته علاوة على الاسلاك الشائكة التي مدت مع الخطين . وقد قام الجيش بحفر هذه الخطوط منذ ١٩ منه حتى ٢١ علناً منتهزاً فرصة المذاكرات بين الحاكم والسيد مهدي ومن بعد ذلك اتخذ الليل ستاراً لاعماله .

٧ — التحرش بالحامية المحاصرة وخطة الدفاع :

بعد ما يئس الثوار من مفاوضات السيد مهدي فكر بعضهم بالتحرش بالحامية مرة ثانية فحمل عباس الخليلي الاديب المعروف نفطا في شكوة وزحف مع جماعة ليلا لحرق باب الحامية وذلك في ليلة ٢١ منه ولكن العملية لم تنجح ولم تحترق الباب وقوبلوا من المحاصرين بنار حامية فلم يتمكنوا على الهجوم من الابنية المجاورة وهذا التحرش هو الذي عبرت عنه البرقية الرسمية بالهجوم كما ذكرنا ذلك سابقاً . وعلى اثر هذا الفشل اتخذ الثوار خطة الدفاع ولم ينازلوا الجيش الزاحف في العراء بتاتاً وانما تحصنوا في ابراج السور الشاهق المحيط بالنجف احاطة السوار بالمعصم وخندقوا في اعلى التل الجنوبي الشامخ والمطل على وادي البحر وبساتينه .

٨ — شعور الفراتيين ازاء الثورة :

لم يكد يصدق الفراتيون ان بقيت في العراق يد تستطيع الحركة الارادية او اللا ارادية في ذلك الضرف الملتهب او بقيت في العراق نفوس تجرأ على القيام في وجه جيش محتل ضافر جرار دوخ الجيوش الالمانية والعثمانية والقبائل العراقية ، لقد وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة وقام اولئك الافراد من النجفيين في وجه ذلك الجيش وحكومته المسيطرة ولا ندري هل كان الفراتيون على علم من حقيقة الثورة والثوار وان حزبا وعصابة قامت بهذه المحاولة وحدها دون اكثرية النجف او دون رغبة اكثرية النخفيين ما عدا البعض الذين كانوا على صلة بالحزب . وعلى كل لقد تجاوبت شواطىء الفرات اصداء صوت النجف المدوي وعلم الفراتي ان هذا النجفي الصلب العود ثار في وجه هذا المحتل الجديد وان هؤلاء النجفيين وان كانوا حضراً عادوا الى عزتهم ولم يطيقوا الرضوخ والاستسلام اكثر من ستة الشهور المنصرمة على مضض بينما بقي ابناء القبائل يرزحون تحت نير الذل والاستكانة فكان شعور ابناء القبائل باعثاً لثورة نفسية جامحة اضافة الى ما يحمله ابناء الفرات نحو النجف من التقديس الديني والاحترام للعلم والادب وكانت هذه الثورة مدعاة الى التفكير والبحث في مصير هذه البلاد فيما اذا تمركزت هذه الحكومة ذات القوة والسلطان وفرغت من حرب عظمى شغلتها عن تنفيذ رغباتها . ولذلك رأينا السلطة المحتلة اعتبرت النجف احدى سوح القتال وساقت اليها جيشاً عرمرما وكانها اعتبرت الفرات كله ثائراً ولكنها مع ذلك اعلنت على لسان جريدتها المأجورة العرب في ٢٢ منه ان بعض القبائل على الفرات عرضت ان تساعد المحتلين في محاربة النجف . اما نحن فلا نستبعد صدور ذلك من بعضهم على سبيل الخداع

والتظاهر الكاذب او لغرض استطلاع رأي الحكام نحوهم ومعرفة تقديرهم لهذه الثورة كما اننا لا نستبعد تعمد الحكام السياسيين على الكذب .

٩ — وساطة العلماء ايضاً :

نشرت جريدة العرب ما يأتي : في ٢٥ مارت المصادف ١٢ جمادي الاخرة وصل الى قائد الجيش العام كتاب من علماء النجف طلبوا فيه رفع الحصار ومنح الامان والعفو العام عن النجفيين فرد الحاكم العام بالكتاب الآتي : الى حضرة حجة الاسلام السيد محمد كاظم الطباطبائي وحضرات العلماء الاعلام في النجف الاشرف والى اهاليها .

وصلنا كتابكم فامعنا النظر فيه وانكم لمحقون في وضعكم بان الحكومة البريطانية رؤفة واسطع برهان على ذلك تلك الرأفة التي عومل بها النجفيون في الحادثتين اللتين وقعتا في الستة شهور الماضية وبرهان آخر على تلك الخطة السلمية التي سنتبعها في تنفيذ الشروط المشترطة عليكم . فاننا لم نوقع العقاب بالاهالي الذين لم يخالفوا القانون بل اولئك الذين خرقوا حرمته ومن ساعدهم على ذلك وفي استطاعة النجف الاشرف ان تخرج سالمة من مأزقها الحالي اذا خضعت للشروط التي سبق وعرضناها فهي امكان حضرات المجتهدين والعلماء الاعلام لا بل بالاحرى عليهم ان يطهروا بلدتهم من مفسديها كما وعليهم مساعدتنا على اتباع العقاب باولئك الذين اقترفوا تلك الجريمة وعلى من حرصوا على ارتكابها وسوف لا تقصر الحكومة في منح الصفح متى آن الوقت المناسب فليتأكد سكان البلدة المسالمين باننا سنعاملهم بالحسنى اذا اظهروا باعمالهم انهم يستحقون منا تلك المعاملة ولقد مضت سبعة ايام على مقتل القبطان مرشال ومع ذلك فلم يعبر لنا اهالي النجف الاشرف عن خضوعهم ولم يقوموا بشيء ما لارجاع القانون والنظام الى نصابيهما ، والسلام .

يظهر للقارئ بن استهلال هذه الرسالة انها جواب على رسالة وساطة واستعطاف من قبل العلماء الى السلطة شفقة على الابرياء والعجزة والنساء والاطفال . اما نحن فلا نعرف عن هذه الرسالة شيئاً غير ان الذي شاهدناه ان السيد مهدي كان يفاوض السلطة و يتصل بها بين حين وآخر وانه يتكلم باسان العلماء والبلد بمعونة الشيخ جواد الجواهري الغيور على مصلحة البلد ولم نسمع ان السيد كاظم تنازل فكتب بخطه مسترحماً ومن الجائز ان تكون الكتابة تعبر عن لسانه و بتوقيع آخرين امثال الشيخ جواد و بعض الوجهاء وعلى كل لقد حلل العلماء هذا الجواب تحليلا منطقياً دقيقاً وفهموا منه ان الاتهام موجه الى العلماء وغيرهم وذلك من قوله : في تنفيذ الشروط المشترطة عليكم وفهموا أن العداء موجه الى المدينة بدون استثناء من قوله : في استطاعة النجف الاشرف ان تخرج سالمة من مأزقها الحالي . كما فهموا ان الكتاب يخصهم بالاتهام ويحط من كرامتهم بطلبه منهم ان يطهروا بلدتهم من مفسديها وان يساعدوه على انزال العقاب بالثوار فقد اراهم قواد عسكريين او جنوداً مهرة في القتال أو مهندسين فنيين تنتج معاملهم الاسلحة في الجوامع والمساجد ليل نهار . وعلى الاجمال لقد كان لهذه الرسالة التي خوطب بها السيد كاظم والعلماء والاهلون اعظم الاثر على النفسية النجفية ولا سيما العلماء ونخص السيد كاظم منهم فقد فوجئ بهذا الكتاب الشديد في حين كان المعروف عنه انه لا يعادي الانكليز و يتجنب السياسة و ينهج المنافسون له بمالئة الانكليز واذا باصدقائه الانكليز يخاطبونه بهذه اللغة لغة المستشرقين المتعصبين لقد كان هذا الكتاب نصراً عظيما للوطنيين المخلصين الى بلادهم وضربة قاضية على السياسة البريطانية في الوسط العلمي الديني واصبحوا يحللون جميع تصرفات السلطة المحتلة و يتهمونها باشنع التهم و يصدقون كل ما قيل و يقال عنها وقد ناقشوا جميع ذلك حسب تعاليمهم واصولهم الدينية فاجمعوا على حرمة التعاون معهم وجهروا بذلك واقتنعوا ان السياسة البريطانية لا تتميز عن السياسة العثمانيه إلا بالقسوة والحط من كرامة العلماء . والحقيقة ان بوادر النصر بعثت الغرور الاوربي فدفعت الضباط البريطانيين على اضاعة جهود السياسة الانكليزية واموالها الطائلة منذ قرن .

١٠ — التناقض في سياسة الحكام

بينما قامت سياسة الحكام على مثل ذلك الكتاب وعلى

تضييق نطاق الحصار حول النجف بتجهيز تلك الخطوط بالاسلاك الشائكة اذا هم يوقفون جباية الضرائب في الفرات الاوسط و يعمدون على تلطيف زعماء العشائر وتقويم الرشوة اليهم باسم المساعدة والسلفة الزراعية أو حفر الجداول والانهار اضافة الى التظاهر بحسن نواياهم وانهم المعتدى عليهم بمقتل الحاكم مارشال وانهم يقدسون الدين ويحترمون مقام النجف الديني .

١١ — المعركة الاولى

كان الثوار يفكرون في الهجوم غير ان قلة عددهم وعدم عطف الاهلين على حركتهم أوقعهم في مشكلة التردد ولما تطاولت الايام انسوا من انفسهم الضعف ازاء ازدياد قوي الزاحفين لذلك عزموا على الهروب في ليلة السابعة عشرة من أيام الحصار و كان ذلك برأي من دماغ النجف المفكر الشيخ جواد الجواهري و كانت ليلة حالكة مدلهمة بالغيوم والرعد والبرق الخاطف وعندما حاولوا اختراق الأسلاك الشائكة ثارت في جوههم نيران الخناق فكانت معركة لم يعمد اليها النجفيون فقصفت مدافع الانكليز ورشاشاتهم وظهروا في العراء نافضين هجوم النجفيين وكادوا يباغون التل الجنوبي غير ان المحابدين من النجفيين دفعتهم حفيظتهم وسارعوا بسلاحهم فاحتلوا التل والسور والابراج وارسلوا نيراناً حامية اصطك بدويها الجو اصطكاكا فاضطر الهاجمون الى التقهقر تاركين بعض القتلى والجرحى اما الثوار الذين حاولوا الافلات فلم يصابوا باذى حيث كمنوا في تلك الكهوف والمغاور وكان في امكانهم الافلات غير ان البعض منهم عدل عن ذلك وفضل البقاء في النجف مهما كانت النتيجة فاضطر الى موافقتهم الباقون شهامة منهم واضاعوا تلك الفرصة التي لم تسنح لهم بعد ذلك ومما يستلفت النظر عدم وجود ضحايا من الثوار والاهلين في هذه المعركة التي دامت ساعة تقريباً وتحرش الثوار في خلالها بالحامية أيضاً ولكن الذي يعرف النجف وتحصنها بسورها الشاهق الضخم لا يستبعد امتناعها عن نيران ذلك القصف .

يتبع :

محمد علي كمال الدين

ما انفع القول من المجرب

للاستاذ الخطيب الشيخ سلمان الانباري

يهزني الشوق و يبدو طربي ... عند استماعي نغمات المطربي
غنى ولكن في قصيدي وهو ذا ... قولك ما يجديك أني عربي
مالك في العلياء ضل شامخ ... ما لم تكن مهذباً ذا أدب
واعلم بان العلم زينة الفتى ... وزينة الفتاة لبس الذهب
والفخر بالانساب لا يرفع من ... كان من الناس وضيع الحسب
وقيمة الانسان ما يحسنه ... عند القريب والبعيد الاجنبي
وان اعظم الرجال رجل ... من الرجال فطن غير غبي
فكن غني النفس تدرك المنى ... فغنية النفس سمو الرتب
وفي التمني لا تنال مطلب ... وفي المساعي نيل كل مطلب
وان اعلا الناس قدراً رجل ... مذلل لكل أمر صعب
يختار من بين الانام صاحباً ... مهذباً في جده واللعب
و يصحب الأديب باعتقاده ... خير صحاب المرء صاحب أديب
يأمر بالمعروف عن معرفة ... بحسن اسلوب ولفظ عذب
ذاك الذي يجدر ان تصحبه ... وغيره ياذا الحجى لا تصحب
وخذ بقول رجل مجرب ... ما انفع القول من المجرب
شاب عذاراه وشاب رأسه ... وروحه روح فتى لم تشب
يطربه القمري عند شدوه ... والشيخ من عاداته لم يطرب
لكنه متى رأى غزيلا ... يفوق بالحسن ظباء بترب
شقائق النعمان ورد خده ... وقده الزاهي كغصن رطب
يقتل كل عاشق متيم ... و يدعي بانه لم يذنب
نادى بارباب الهوى ذا آسري ... وبالهوى العذري ذا معذبي
من منصفي منه ومن يحكم لي ... وهو كما ترونه يهزأ بي
سكران من خمر الصبا وما احتسى ... راحاً وما عاقر بنت العنب
لكنما الناس بلا معرفة ... قالوا به يشرب ذات الحبب
إلا أنا نزهته عن شربها ... حيث أنا غير اللمى لم اشرب
وها انا ادعوه وهو لم يجب ... عساه من تيه به لم يجب
ادعوه يا دمية أرباب الهوى ... رفقاً بقلب عاشق معذب
ما كان قبل اليوم يعرف الهوى ... وما استماله الهوى للطرب

بغداد الكرادة :

الانباري